المحاضرة السابعة

ثالثا: اهتمام الإسلام بالتنشئة الاجتماعية

استعبد الإسلام طرق التناسل أو تكوين الأسرة بغير طريقة الزواج, وذلك لتكوين الأواصر القوية بين كل أفراد الأسرة, قريبها وبعيدها, وقاصيها ودانيها, وبعض إلي المؤمن أن يسلك في تكوين الأسرة طريقا غير الزواج.

كما حث الإسلام علي تكوين الأسرة, ودعا إلى أن يعيش الناس في ظلالها, فهي الصورة الطبيعية للحياة المستقيمة التي تلبي رغائب الإنسان وتفي بحاجاته. وهي الوضع الفطري الذي ارتضاه الله لحياه الناس منذ فجر الخليقة وفضله لهم. واتخذ من الأنبياء والرسل مثلا فقال سبحانه **"لقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية"**, وقال تعالى: **"والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا, وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة, ورزقكم من الطيبات. أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله وهو يكفرون"**.

وفي إطار الأسرة يتم تنظيم العلاقة التي خلقت في الإنسان الذكر والأنثى. فقد شرع الزواج والأسرة ليكون الزواج أداة وتكون الأسرة وعاء شرعيا نظيفا ودائما ومستقرا لاستقبال هذه الطاقة وتوظيفها في المحل الصحيح وتوجيهها الوجهة السليمة. لتحقيق استمرار الجنس البشري, فقد قال تعالي: **"وبث منهما رجالا كثيرا ونساء"**. هذه الحقيقة التي يقررها القرآن الكريم هي حكمة مقررة منذ الأزل, وهي مطلب موجود في أصل فلسفة الإنسان. ولذلك وصف القرآن الكريم البنين بأنهم أحد عنصرين هما زينة الحياة الدنيا وبهجتها(المال والبنون). والمفهوم أن المباهاة ليست بالكثرة في ذاتها ولكن بكثرة العمل الصالح والالتزام بأوامر الله والانتهاء عما نهي عنه. وهي أيضا وظيفة تربوية, فعلى الأسرة يقع قسط كبير من واجبات التربية الخلقية والوجدانية والدينية في جميع مراحل الطفولة, بل في المراحل التالية كذلك. وبفضل الحياة في الأسرة يتكون لدي الفرد الروح العائلي والعواطف الأسرية المختلفة, وتنشأ الاتجاهات الأولي للحياة الاجتماعية المنتظمة. فالأسرة هي التي تجعل من الطفل حيوانا مدنيا, وتزوده بالعواطف والاتجاهات اللازمة للحياة في المجتمع وفي البيت.

وتقوم الأسرة بعملية التنشئة الاجتماعية وما تتضمنه هذه العملية من تعلم الطفل لغته وعادات مجتمعه ودينه وكيفية الامتثال لنظم المجتمع والمحافظة علي تراثه. ومن المعروف أن الأسرة في المجتمعات الصناعية الحديثة قد فقدت الكثير من أسس ترابطها وعوامل تماسكها منذ بداية النهضة الصناعية في القرن التاسع عشر نتيجة لازدياد عدد السكان وتدفق المهاجرين من الريف إلي المدن طعما في مستوي أعلي من الدخل, وعدم توافر المساكن الصحية المناسبة, وارتفاع تكاليف المعيشة بما لا يسمح بإعالة الأصول والفروع, وقلة فرص التعاون والتكافل, والاعتماد المطلق في سد الاحتياجات المعيشية علي المتخصصين. كل هذا كان من نتيجة أن قامت المؤسسات بجزء كبير من الأعباء الأصلية التي كانت منوطة بالأسرة القديمة والتي مازالت من أهم أعبائها في المجتمعات الريفية والبدوية, ومن هنا نشأت دور الحضانة ومنظمات التربية الرياضية والاجتماعية,

والنوادي والمؤسسات الاجتماعية الأخرى التي تعني بتربية الأطفال وعلاج ما قد يصيب بعضهم من انحراف أو جنوح.

رابعا: نظريات التنشئة الاجتماعية

تعدد الآراء حول التنشئة وأبعادها وحدودها وبدايتها ونهايتها, فيما يلي أبرز النظريات التي حاولت تفسير عملية التنشئة:

أ- نظرية التحليل النفسي :

يتزعم هذه النظرية سيغموند فرويد حيث يرى أن جذور هذه التنشئة الاجتماعية عند الأفراد تكمن فيما يسميه ب (الأنا الأعلى) الذي يتطور عند الفرد بدءا من الطفولة نتيجة تقمصه دور والده الذي هو من نفس جنسه فهو يرى أن الطفل يولد بالهو, أي يمثل مجموعة من الدوافع الغرائزية وهم الطفل الوحيد إشباعها (الاكل, النوم, اللعب, المشاعر...), ولكنه أثناء نموه يتعرض سواء من طرف والديه عادة أو غيرهم من القائمين في المجتمع أن يقفوا في طريق إشباعه لهذه الغرائز في محاولة لتطبيعه وتنشئته على قبول قوانين المجتمعة ومساعدته على تحقيق التقبل الاجتماعي والاندماج بسهولة في مجتمع الراشدين, ونتيجة لعملية الضبط هذه يتحول جزء من الهو إلى ما يسميه فرويد بالأنا الأعلى وهو ما يسمى بالضمير، هذا الأخير الذي يعمل على إخضاع مطالب اللذة للتحكم وفق معايير المجتمع, ويرى فرويد أن كل ما يجده الفرد في الأنا صعبا للتحقيق يكبت ويحول إلى ما يسميه فرويد **اللاشعور** والتي تجد لها تعبيرا في الأحلام والشرود إضافة إلى ما تسببه من متاعب كثيرة ومشكلات عقلية واجتماعية ونفسية.

إن عملية التنشئة الاجتماعية أو التطبيع الاجتماعي عند فرويد هي عملية نمو و تطور فهي عملية نمو حتمية وأساسية متداخلة فيما بينها وذات تأثير بالغ في شخصية الفرد مستقبلا، ترى أن التنشئة الاجتماعية تتضمن اكتساب الطفل لمعايير وسلوك والديه وعن طريق أساليب التنشئة الاجتماعية كالثواب والعقاب يتكون لدى الطفل الضبط الداخلي أو الضمير الموجه لسلوك الطفل ثم الفرد فيما بعد، وبذلك يعتبر التقليد إذا من أبرز أساليب التنشئة الأسرية في نظر فرويد.

ب- نظرية التعلم الاجتماعي :

يعد التعلم القاعدة الأساسية لنظرية التنشئة الاجتماعي، وبما ان الله تعالى اكرم الإنسان من بين المخلوقات بالعقل وحثه على تعلم كل ما له فائدة في حياته، باعتباره عملية دائمة ومستمرة وخاصة في عملية التنشئة الاجتماعية، التي ينظر إليها أصحاب هذه النظرية على أنها ذلك الجانب من التعلم الذي يهتم بالسلوك الاجتماعي عند الفرد، وعليه فالتنشئة الاجتماعية هي عملية تعلم لأنها تتضمن تغيرا وتعويدا في السلوك وذلك نتيجة التعرض لممارسات معينة وخبرات، كما أن مؤسسات التنشئة الاجتماعية تستخدم أثناء عملية التنشئة الاجتماعية بعض الوسائل والأساليب في تحقيق التعلم سواء كان بقصد أو بدون قصد.

حسب هذه النظرية، فإن التنشئة الاجتماعية عبارة عن نمط تعليمي يساعد الفرد على القيام بأدواره الاجتماعية, كما أن التطور الاجتماعي حسب وجهة نظر هذه النظرية يتم بالطريقة نفسها التي كان فيها تعلم المهارات الأخرى، ويعطي أصحاب هذه النظرية أهمية كبرى للتعزيز في عملية التعلم الاجتماعي أمثال دولارد(Dolard) و ميلر(Miler) بحيث يذهبان إلى أن السلوك الفردي يُدعم أو يتغير تبعا لنمط التعزيز في تقوية السلوك، أما باندورا (Bandora)و ولتزر(Walter) فعلى الرغم من موافقتهما على مبدأ التعزيز في تقوية السلوك إلا أنهما يشيران إلى أن التعزيز وحده لا يعد كافيا لتفسير التعلم أو تفسير بعض السلوكيات التي تظهر فجأة لدى الطفل، ويعتمد مفهوم نموذج التعلم بالملاحظة على افتراض مفاده أن الإنسان ككائن اجتماعي يتأثر باتجاهات الآخرين ومشاعرهم وتصر فاتهم وسلوكهم ، وينطوي هذا الافتراض على أهمية تربوية بالغة، آخذين بعين الاعتبار أن التعليم بمفهومه الأساسي عملية اجتماعية .

ويرى باندور أن الناس يطورون آراءهم حول أنواع السلوك التي سوف توصلهم إلى أهدافهم ويعتمد قبول أو عدم قبول آرائهم على النتائج التي تتمخض على هذا السلوك عن طريق الثواب والعقاب ، معنى هذا أن هناك الكثير من تعلم السلوك يحدث عن طريق ملاحظة سلوك الآخرين ونتائج أفعالهم وانطلاقا من هذا ، فإن الفرد لا يتعلم نماذج السلوك فقط بل قواعد السلوك أيضا، ويقترح هذا العالم ثلاثة مراحل لتعلم بالملاحظة وهي:

* **تعلم سلوكيات جديدة** : يستطيع الطفل تعلم سلوك أو سلوكيات جديدة عن طريق النموذج الموجود أمامه فعندما يقوم فرد ما باستجابة جديدة لم تكن من قبل في حصيلة ملاحظته فإنه يحاول تقليدها غير أن باندور يؤكد على أن الملاحظ لا يتأثر بالنماذج الحقيقية الملاحظة أمامه فقط بل يؤكد على أن التمثيلات الصورية الموجودة في الصحافة والتلفاز والسينما تقوم مقام النموذج الحقيقي كذلك.

* **الكف والتحرير:** ومفادها أن عملية الملاحظة قد تؤدي بالطفل إلى الكف والتحرير عن بعض السلوكيات أو الاستجابات وتجنبها وخاصة إذا واجه نموذج صاحب السلوك عواقب ونتائج سلبية غير مرغوب فيها من جراء انغماسه في هذا السلوك، وقد تؤدي عملية

ملاحظة السلوك أيضا إلى تحرير بعض الاستجابات المكفوفة أو المقيدة وخاصة عندما تكون نتائج السلوك إيجابية وبالتالي فهي تدفع بالطفل إلى القيام بها إذا ما اقتضت الضرورة .

* **التسهيل :** تؤدي عملية التسهيل إلى تسهيل ظهور بعض النماذج السلوكية ، أو الاستجابات التي قد تقع في حصيلة الملاحظ السلوكية، التي تعلمها على نحو مسبق، إلا أنه لم تسمح له الفرصة لاستخدامها بمعنى أن السلوك النموذج يساعد الملاحظ على تذكر استجابات مشابهة فالطفل الذي تعلم بعض الاستجابات التعاونية ولم يمارسها يمكن أن يؤديها عندما يلاحظ بعض الأطفال منهمكين في سلوك تعاوني وتختلف عملية التسهيل السلوك عن عملية تحريره، فالتسهيل يتناول الاستجابات المتعلمة غير المكفوفة ، أما تحرير السلوك فيتناول الاستجابات المقيدة أو المكفوفة التي تقف منها التنشئة الاجتماعية موقفا سلبيا، فيعمل على تحريرها بسبب ملاحظته نموذج يؤدي مثل هذه الاستجابات دون أن يصيبه سوء .

ج- نظرية الدور الاجتماعي :

يقصد بالدور الاجتماعي لدى رالف لينتون: **"أن المكانة عبارة عن مجموعة الحقوق والواجبات، وبأن الدور هو المظهر الديناميكي للمكانة، فالسير على هذه الحقوق والواجبات معناه القيام بالدور، ويشمل الدور عند لينتون الإتجاهات والقيم والسلوك التي يمليها المجتمع على كل الاشخاص الذين يشغلون مركزا معينا"**. في حين يعرف كوتول الدور بأنه: **" سلسلة إستجابات شرطية متوافقة داخليا لأحد أطراف الموقف الإجتماعي، تمثل نمط التنبيه في سلسلة إستجابات الآخرين الشرطية المتوافقة داخليا بنفس المستوى في هذا الموقف"**.

وعليه يمكن القول وفق هذه النظرية أن الدور ثمرة تفاعل الذات والغير، وأن الاتجاهات نحو الذات هي أساس فكرة الدور، وتكتسب عن طريق التنشئة الاجتماعية وتتأثر تأثرا كبيرا بالمعايير الثقافية السائدة ، كما تتأثر بخبرة الشخص الذاتية ، ولهذا حاولت نظرية الدور تفهم السلوك الإنساني بالصورة المعقدة التي كون عليها باعتبار أن السلوك الاجتماعي يشمل عناصر حضارية واجتماعية وشخصية.

يكتسب الأطفال الأدوار الإجتماعية المختلفة من خلال علاقات مع أفردا لهم مغزى خاص بالنسبة لحياة الطفل : (الأم والأب والإخوة), إن عملية إكتساب الأدوار الإجتماعية بصفة عامة ليست مسألة معرفية فقط، بل هي إر تباط عاطفي يوفر عوامل التعلم الإجتماعي وإكتساب الأدوار الإجتماعية من خلال ثلاثة طرق هي :

* التعاطف مع الأفراد ذوي الأهمية وهم المحيطين بالطفل، وتعني قدرة الطفل على أن يتصور مشاعر أو أحاسيس شخص ما في موقف معين

* دوافع الطفل وبواعثه على التعلم .. فالطفل يحرص على التصرف وفق ما يتوقعه أبواه ويجتنب ما لا يقبلانه.

* إحساس الطفل بالأمن والطمأنينة وهذا الشعور يجعل الطفل أكثر جرأة في محاولة تجريب الأدوار الإجتماعية المختلفة ، وخاصة في مجال اللعب.

وعليه فإن لكل فرد دور يعد بمثابة مركز إجتماعي يتناسب مع الأداء الذي يقوم به . يكتسب الطفل مركزه ويتعلم دوره من خلال تفاعله مع الآخرين وخاصة الأشخاص المهمين في حياته، الذين يرتبط بهم إرتباطا عاطفيا.